مكتبة المقتطف

نفحات من سيرة السيدة زينب

ذلكم هو عنوان كتاب أصدره فضيلة الأستاذ احمد الشرباصي — وهو مدرس بالأزهر الشريف — ومن أدباء الشباب المبرزين .

ليس هذا الكتاب أول ما يصدر من مؤلفات الأستاذ الشرباصي فقد سبق أن أصدر عدة كتب أيام كان يطلب العلم على كرسي التلمذة فأصدر « حركة الكشف » و « محاولة » و « بين صديقين » وغيرها . واليوم يتحف العالم الاسلامي بكتابه النفيس هذا .

لم يقتصر الكتاب — على صغر حجمه [1] — على ذكر سيرة السيدة زينب وإنما حوى أموراً ذات شأن أوحت بها سيرة هذه السيدة العظيمة الشأن .

بدأ كتابه بذكر الاحتفال بالمولد الزينبي ذاكراً فوائده ومزايا أمثال هذه المواسم الدينية التي « هي ذكرى تنبه الغافلين من المسلمين وهي فرصة لاستعراض صفحات من التاريخ الاسلامي الحافل بالعبر والعظات . . . » إلى غير ذلك مما فيه الخير للفرد والمجموع .

ولكن مما يؤسف له أن الأمر لم يكن خالياً مما يشوّه روعة هذه المواسم ويحط من شأنها ويقلل من قدسيتها ، هو ما يجري فيها من الجرائم والتحايل والدجل والشعوذة ، يقوم بها رجال ضعف الإيمان في قلوبهم واتخذوا من هذه المواسم تجارة رابحة فلم يرعوا حرماً لشهواتهم . ويتخذون من سذاجة عقول البسطاء وصيلة الوصول إلى مآربهم وغاياتهم الدنيئة

---

١ — عدد صفحاته ٤٨

وأولئك الذين أقبلوا من كل حدب وصوب للزيارة لم يؤدوها على وجهها بل صارت لديهم ضرباً من الوثنية ومظاهر الشرك : « فتراهم يتمسحون بالأضرحة ويطوفون حولها كأنها الكعبة الحرام ويلثمون صفائحها كأنها مستلم عرش ربك ويلصقون صدورهم بأبوابها وحديدها وكأنها الملجأ الواقي من السعير ، ويلصقون خدودهم بعتباتها ويعفرون وجوههم بترابها ويعلقون الخير والشر والثواب والعقاب برضى ساكني هذه القبور وإرادتهم » .

هذا بعض ما جاء في الكتاب من وصف حالة الزائرين والزائرات لكل ضريح أو مقام في مصر وغيرها من البلاد الإسلامية . وحقيق بكل مسلم موحّد أن يحارب هذه المظاهر الوثنية ، فقد بلغ هؤلاء الناس حدّاً من ضعف الإيمان بالله أنّ اتخذوا من ساكني القبور أرباباً من دون الله يخشونهم ويرجون خيرهم من دون الله ويبسطون أيديهم وألسنتهم بالدعاء وهم يتلون كتاب الله أو يسمعونه يتلى عليهم بواضح العبارة وفصيحه « وقال ربكم ادعوني أستجب لكم » وفي آية أخرى « وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ... » وهم يستعينون بالأموات ويقول ربهم في كتابه العزيز « إياك نعبد وإياك نستعين » .

واستطرد إلى أن الانسان يجب أن يكسب رضى الله بجده وعمله لا بحسبه ونفوذه وبالدعاء والتوسل الى المقربين الى الله تعالى فليس يغنيه كل ذلك شيئاً .

* * *

وانتقل بعد ذلك إلى سيرة السيدة زينب ، فهي بنت أمير المؤمنين علي كرّم الله وجهه وأمها فاطمة الزهراء بضعة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم وشقيقها الحسين عليه السلام ، ولدت في شعبان من السنة الخامسة للهجرة بعد أخيها الحسين بسنتين وشهدت من حياة الرسول الكريم خمس سنوات ، فورثت أكمل الصفات وأجل المزايا من سيد الرسل ووالدها البطل المغوار .

ولما كبرت سنها وتما عودها تزوجت ابن عمها عبدالله بن جعفر بن أبي طالب وهو الذي ولد بأرض الحبشة حين الهجرة الأولى . وتوفي رسول الله وعمرها عشر سنوات .

وكانت السيدة زينب مثالاً للزوجة الفاضلة المخلصة فكان بيتها أهنأ بيت وأسعده وصار لها من الأولاد : علي ومحمد وعباس وعون وأم كلثوم وأم عبد الله ومات بعضهم في أول حياته وعمر آخرون .

وكانت رضي الله عنها جميلة الخلقة صبيحة الوجه كريمة اليد والنفس عالية فاضلة فصيحة بليغة شجاعة جريئة مقدامة .

وحينما بدأ شقيقها الحسين رضي الله عنه جهاده كانت معه عوناً له لا حد أزره وتقوم بكل ما يحتاجون إليه دائبة على العمل صابرة .

وعندما وقعت الواقعة وصعدت روح الحسين الى الملأ الأعلى ظلت السيدة زينب رابطة الجأش وإن كان الحزن قد قطع نياط قلبها « وجاهدت في سبيل الله جهاد الصادقين واذخرت أجرها عند مليك مقتدر » .

وحملها عمر بن سعد مع أخواتها وأبناء الحسين الى الكوفة فروا بالحسين وأصحابه وهم قتلى فعلا العويل والصراخ منهم .

وجرت محاورة ومداورة بينها وبين عبيد الله بن زياد ، وكانت فيها سريعة البديهة قوية الحجة والمنطق تقرعه بلواذع العبارات .

ولم تنخدع بدموع التماسيح التي سالت عن أعين أهل الكوفة فوقفت بينهم مكنة تقرعهم وتظهر كوامن نفوسهم الخبيثة ثم تعقب على ذلك سابَّة لاعنة ، فاستدرَّت بلاغتها الدموع فضجَّ الناس بالبكاء وعضوا على بنان الندم .

ثم يأمر الطاغية ابن زياد بتجهيز الأسرى وفيهم السيدة زينب ، وترحيلهم الى الشام ، وهناك التقين ترحاباً من نساء يزيد .

ووقفت السيدة الفاضلة إزاء يزيد تذكره بآثامه وأضاله الشنيعة بتقريع وتأديب في خطاب طويل بليغ فكان ذلك سبباً في أن يأمر يزيد بإخراج الطاهرة زينب ومن معها الى المدينة . فخرج بهم الرسول معززاً إياهم مكرماً مارفاً لهم حرمتهم وكرامتهم .

وأخذت تؤلب الناس في المدينة على الأخذ بثأر الحسين ، فأحسَّ اليزيديون بخطرها عليهم ، فكتب بذلك إلى يزيد فأجاب بأن يفرق بينها وبين المدينة على أن تختار هي البلد الذي

تأوي اليه . فاختارت مصر وكان استقبالها في مصر عظيماً

وأقامت في مصر عابدة زاهدة حتى وافاها الأجل المحتوم في الرابع عشر من مساء السبت ليلة الأحد من شهر رجب سنة اثنتين وستين للهجرة . وأقام لها فقهاء مصر ووجهاؤها موسماً حافلاً بعد عام من وفاتها هو المولد الزينبي الذي لا يزال يقام عندنا من أول شهر رجب إلى منتصفه في كل عام .

ونطرق إلى ذكر الآراء والاقوال المختلفة في موضع ضريح السيدة زينب . وسرد ما نال هذا الضريح من اهتمام واحتفاء وتجديد بأيدي الملوك والأمراء الى عهد الملك فاروق اليوم .

وختم البحث بالدعوة إلى الوحدة والتآلف واتباع سنن الرسول وأن نتخذ من سير هؤلاء الصالحين والصالحات نبراساً نهتدي به في ظلمات الحياة الحالكة وديجور الهوى والضلال وأن نتخلق بأخلاقهم ونهتدي بهديهم ونأتم بهم ونتخذهم قدوة لنا وإماماً في أعمالنا . لا أن نتمسح بقبورهم ونقبل الأرض عند ضريحهم ونطيل اللحى ونتبع الزوايا والتكايا كما لا يخفى علينا ، فليس هذا من الدين في شيء .

هذا وإني لأدعو كل إنسان إلى مطالعة هذه السيرة الطيبة فهي سراج للقلوب ونور للعقول وأخص السيدات بالذكر ليتخذن منها قدوة صالحة فهكذا تكون النساء .

* * *

أما أسلوب الكتاب فرصين متين قوي الديباجة سليم العبارة جزل الالفاظ ، وكأني به أحد شيوخ الأدب الأقدمين يرسل القول ارسالاً مستقيم الرأي سليم الفكر رفيع الأسلوب .

وإني لآمل من الأستاذ المؤلف احمد الشرباصي وغيره من الباحثين أن يكثروا من نشر مثل هذه السير وإذاعتها في الناس فهي مجهولة لديهم غريبة عنهم ، ففيها الفائدة الجلى والنفع الأعم

بغداد محمد فائق ترفيق

مدرس تطبيقات دار المعلمين ببغداد

موجز تاريخ العروب والقرون

جزءان في ٨٠٠ صفحة من القطع الكبير — ثمن كل جزء جنيه مصري واحد

أول ما يروع المطلع على تلك الموسوعة التاريخية التي قام بوضعها الأستاذ حنا أبي راشد الرحالة الشرقي المعروف ، ذلك الحشد الكبير لمواكب التاريخ منذ بدء التاريخ في إيجاز غير مخل ، وفي عرض شائق غير ممل .

وقد جمع لموسوعته الفسيحة من حوادث التاريخ ، ومن أحداث الزمن ، ومن آثار الأمم والشعوب المختلفة ، ومن أعمال الرجال ، ومن قصص البطولة ما يشهد له بسعة الاطلاع ووفور المادة التاريخية والمعلومات الكثيرة التي يعيها في صدره ويختزنها في عقله ليسطرها بعد ذلك ويخرجها للقارىء صوراً تاريخية رائع المشاهد .

ولم يشأ أن يعرض لهذه الحوادث والأحداث وتلك الآثار والأعمال وذكر البطولة والأمجاد عرضاً عادياً . ولكنه قسّم الزمن في موسوعته إلى قرون . فتكلم في كل قرن أحداثه وحوادثه في كل مكان وكل بيئة وشعب . مما يجعل تاريخ كل قرن ميسّراً أمام القارىء يعرف منه ما حدث هنا أو هناك في آن واحد . وهي ميزة لا ينكر أثرها في تسهيل إدراك البغية للباحث ، وفي تبسيط التاريخ للمطالع .

وقد انطوى الجزء الأول من تلك الموسوعة على أبرز الحوادث منذ بدء التاريخ المعروف حتى القرن الثالث عشر الميلادي . أما الجزء الثاني فقد جمع بين دفتيه الحوادث منذ ختام القرن الثالث عشر إلى القرن السابع عشر الميلادي ويليه الجزء الثالث — الذي لم يصدر بعد — ابتداء من القرن الثامن عشر .

وقد حرص المؤلف على أن يختم باب كل قرن بملخص يذكر فيه أهمّ الحوادث التي وقعت خلال ذلك القرن بعد أن يكون قد عرض لهذه الحوادث خلال الكلام عنها . ثم زيّن صفحات الكتاب بكثير من الرسوم التي ترتبط ببعض ذلك السرد التاريخي من رسوم لأعلام وأبطال أو مشاهد وآثار مما يزيد في فائدة الكتاب .

ولكن هناك هنات وقعت يخلال الطبع نرجو أن يوفق المؤلف إلى تلافيها في الأجزاء الباقية وعند إعادة الطبع ليكون لهذه الموسوعة قيمتها من كل وجهة ولا تستتبع الخطأ المطبعي خطأً في الأرقام التي تفسد من القيمة التاريخية للكتاب .

حرب العالمية الثانية شعراً ونثراً

للاستاذ اسكندر الخوري البيتجالي ؛ ٢٠٠ صفحات (دار احياء الكتب العربية بالقاهرة)

تناول الشاعر الفلسطيني المعروف الاستاذ اسكندر الخوري حوادث الحرب العالمية الثانية في ملحمة شعرية بلغت أبياتها (٢٩٣) بيتاً شرع في نظمها منذ نطقت الرصاصة الأولى ... وفرغ منها حين خمدت نأمتها وطرح زبانيتها بأسلحتهم القتالة (ونوالي حين...!) وفي هذه التحفة الشعرية تقيد الشاعر البيتجالي ببحر واحد وقافية واحدة ، وهو جهد عظيم بذله في نظم تلك الملحمة ، مدللاً بذلك على اتساع لغة (الضاد) لأي ضرب من ضروب الشعر ، أما مطلع الملحمة فهو :

« نامـوا طـوال ليـاليهم خليّـينا واستأمنوا الدهر لاشراً يطغونا »

وقد أوفى الشاعر النابه موضوعه النفيس الماتع بحواشٍ وشروح أضفاها على قريحته فجاءت مع الشعر العذب سجلاً للحقيقة وكتاباً يجمع بين الأدب والتنوعية والتاريخ والسياسة.

وكان من إعجاب الشاعر الناقد الاستاذ علي محمود طه بتلك النفحة المقدسية المجنحة ان قدّم لها بتمهيد رائع موفق إستهله بقوله :

« ليس بدعاً ان تخرج لنا فلسطين أرض الدم المسكوب ، والحق المغصوب ، والصراع المشبوب ، شاعراً حكيماً مبيناً كالاستاذ اسكندر الخوري ، يؤرخ لنا هذه الحرب العالمية الثانية ويقف من أحداثها وفواجعها موقف الناطق الملقن والناقض المحقق » ويشيد الاستاذ علي محمود طه بتوفيق شاعرنا الخوري كثيراً « في تنويع الأصداء الانجمية لموسيقيته » ويلاحظ القارئ ذلك من قول شاعر الملحمة :

« والروس ما عتموا أن قام قائمهم وواصلوا زحفهم (برلين) يغشونا
غزوا (بدابست) في جيش عرمه جركوف واستخلصوا (فينّا) مُجلينا »

ومن قوله مخاطباً حاضرة المانيا :

« لو كان (شلر) حيّاً ما مددت يدا ولا حملت على أبناء (موشكينا) »

وكان جميلاً من الاستاذ الخوري ان يلتفت وهو صادر في تصوير شاعره على القرطاس الى الشرق العربي وقضاياه الكبرى فينادي بحقه ويهتف بالخير له ويتغنى بمثله العليا ويشيد ببطولة أبنائه وينعي على الحضارة الآلية هذه المذابح الحيوانية التي صبغت أديم الأرض بلونها القاني وأغرقت الدنيا في لججها الطاغية وقذفت العالم في عواصف صميرها المتقد .

وفي تلك الملحمة عرضٌ رائع للاحداث السياسية التي ألمّت بالمجموعة العربية ابان هذه الحرب الضروس في (جامعة الدول العربية) الى قضايا مصر وسورية ولبنان والعراق

وفلسطين وبه يفتتح الحديث عن مؤتمر سان فرنسيسكو قائلاً :

« يا طير إسان فرنسيسكو على مهل ... إحمل لسان فرنسيسكو أمانينا
حيِّ دُعاةَ فرنسيسكو وقل لهمُ ... « إنا محيوك يا سُلمى فحيّينا » !
قل للوفود مقالَ الصدق هل ذكروا ... بنود (ولسنَ) هل هم غيرُ ناسينا
بغسيرها لا سلاماً يشدون ولا ... صلحاً به الأمنَ يوماً يستعيدونا

والواقع ان في ملحمة الشاعر المنتج كتابين ماتعين كما يقول الأستاذ طه : يظفر فيهما عشاق الأدب الرفيع بنصيب وافر ، ويرجع محبو التاريخ بقسط ملحوظ وافر » ونلاحظ على الأستاذ الخوري تخلصه البارع حتما ينهي ملحمته بأبيات يرحب فيها بدنيا السلام ومن ذلك قوله :

أهلاً بدنيا سلام لاح بارقها ... وذوَّ فارقها للخير يهدينا
دنيا سلام على الأخلاق قائمة ... (لا ، لا) على زوات المستبدينا

ولئن قدر للحرب العالمية الأولى أن ينظم وقائعها شعراً الكاتب العربي الجبار الشاعر الناثر المرحوم أسعد خليل داغر فان تاريخ الحرب العالمية الثانية حظي بشاعر فحل ريشته بحر الخلود فجاءت ملحمته الطريفة من طراز عال يفوق كل وصف وتصوير !

بيت المقدس ! البروني الملثم

كرم على درب

تأليف ميخائيل نعيمة ، صفحاته ١٠٤ من القطع الوسط ، طبع بمطبعة المعارف بمصر

هذا اسم كتاب أصدرته دار المعارف في القاهرة مطبوعاً طبعاً أنيقاً وقد ضمّ بين دفتيه مجموعة كبيرة من الشذور والأمثال والحكم المهذبة للنفوس من نتاج عبقرية الأستاذ ميخائيل نعيمة وانبثاق نور بصيرته ومن ثمار ما وعاه صدره من معلومات وما دأناه من تجارب واختبارات وما بلاه من طبائع الناس وجمع هذه الأمثال تسمو الى الذروة في دقة تصويرها وبلاغة عبارتها . وقال في صدرها : « كرمي على درب فيه العنب وفيه الحصرم فلا تلمني يا طير السبيل إن أنت أكلت منه فضرست »

يقصد بذلك أن في بعض هذه الأمثال والإشارات ما يطابق صفات بعض الناس فلا تروق لهم قراءته لأنه يظهرهم على عيوبهم ويريهم عواقب هذه العيوب . وفيها حكم يقرأها غيرهم فيرتاحون إليها ويرون فيها ما يشجعهم على مواصلة الأخذ بأسباب الفضيلة والشرف والحب والايثار . وكتاب كهذا جدير بأن تزدان به مكتبة كل فرد فانه كتاب الحياة في صميمها . فنثني على فضل مؤلفه وعلى فضل دار المعارف في طبعه ونشره .

فهرس الجزء الخامس

من المجلد التاسع بعد المئة

٢٤١ التعاليم اللاهوتية في أصل الحيوان والانسان

٢٤٥ تحقيق في ولادة النبي : عبد المقصود حشاد القلشي

٢٤٧ تجربة جديدة في ألياف الراهي : عوض جندي

٢٤٩ معجزة في عالم الجراحة

٢٥٣ الكيمياء عند العرب وأبو بكر محمد بن زكريا الرازي : شريف الشاشيبي

٢٥٧ شوبنهور والطبيعة البشرية : جريس القسوس

٢٦٩ الطوروس وعلاجه : الدكتور عبده رزق

٢٧٣ المصوبات آخر كلمة فيها : نقولا الحداد

٢٨١ المجمل في اللغة لابن فارس — مخطوط : طاهر التنعاني الحوي

٢٨٦ بنو اسرائيل واليهود وعلاقتهم بفلسطين العربية : حسين المهدي خنام

٢٩٧ مكتبة المقتطف ٥ نفحات من سيرة السيدة زينب : محمد فتح توفيق . موجز تاريخ الحروب والقرون : الحرب العالمية الثانية شعراً ونثراً : البدوي الملثم . كرم على درب

لحق

١ — ٦٠ الحق والقوة — دراسة اجتماعية بقلم أرمان لفاف : ترجمة سليم سعده